

الجمهورية اليمنية

وزارة المياه والبيئة

حماية البيئة في اليمن

فريضة شرعية

و

مسئولية وطنية

المحتويات

٦	مدخل: البيئة الصالحة : فريضة شرعية وضرورة حياتية
١٤	مقدمة: البيئة في اليمن أساس النهضة والتنمية
١٨	الفصل الأول : الماء .. أصل الحياة
٢٧	الفصل الثاني : النظافة .. علامة الإيمان
٣٤	الفصل الثالث : الشجرة والخضرة .. آية الحياة
٤٠	الفصل الرابع : وللحيوان حقوق في منهج الإسلام
٥١	الفصل الخامس : الهواء .. النعمة الخفية
٥٧	قائمة بالمراجع والمصادر
٥٨	التوصيات

كلمة معالي وزير المياه والبيئة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ
وبعد ،،،

إن الحديث عن البيئة في عصرنا الحديث بدأ في العقد السابع من القرن الماضي حينما بدأت تظهر إفرازات الأنشطة الصناعية والتجارية والتنموية وتؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على البيئة الطبيعية التي منحها سبحانه وتعالى كوكبنا الأرض.

ولقد صدرت خلال العقد الأخير من القرن الماضي العديد من الكتب والمقالات التي تناقش موضوع حماية البيئة من منظور إسلامي حيث أعطت الموضوع حقه من النقاش والمداخلات وتحت إشراف أساتذة أكاديميين إلا أن هذا الكتيب الذي بين أيديكم يعتبر عصاره جميع هذه الأبحاث والدراسات والمناقشات والمداخلات وبحيث يقدم وجبه بيئية خفيفة من منظور إسلامي يستعين به إخواننا وأبنائنا أئمة وخطباء المساجد للتذكير في الخطب واللقاءات بأهمية الحفاظ على البيئة الطبيعية كما خلقها سبحانه وتعالى وتذكير الناس بضرورة الحفاظ على النظافة وإكتساب السلوك الحسن كما حدثنا عليه القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. ولا يسعني هنا إلا الإشادة وتقديم الشكر الكثير لجميع من ساهم في إخراج هذا الكتيب المفيد وفي المقدمة الإخوة في وزارة الأوقاف الذين أسهموا إسهاماً مباشراً في مراجعة محتوياته ومؤسسة فردريش إيبيرت الألمانية التي دعمت إخراجها وكذا جميع من ساهم من وزارة المياه والبيئة في إخراج هذا العمل الجيد. وفقنا الله جميعاً لما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

د. محمد لطف الإرياني
وزير المياه والبيئة
صنعااء/ ديسمبر ٢٠٠٣م



كلمة معالي وزير الأوقاف والإرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ﷺ

وبعد ،،،

إن هذا الكتيب التي قامت بإعداده وتجهيزه وزارة المياه والبيئة بالتعاون والتنسيق مع مؤسسة فردريش إيبيرت حوى بين دفتيه معلومات تتعلق بحماية البيئة من منظور إسلامي وبأسلوب يمكن لأئمة المساجد والخطباء الإستفادة منه عند إعداد خطبهم ومواعظهم لحماية البيئة من التلوث وضرورة الحفاظ على النظافة الشخصية والبيئية.

فالشارع النظيف عنوان ساكنيه والنظافة من الإيمان والدين الإسلامي حثنا على النظافة وحماية البيئة من التلوث فإمادة الأذى عن الطريق صدقه كما جاء في الأثر النبوي الشريف. ومن خلال هذا الكتيب، والذي تم فيه إستعراض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تتعلق بشكل مباشر بحماية البيئة، يمكن للخطباء والأئمة الإستعانة بما جاء فيه ونشر الوعي بين المسلمين بجوانب البيئة المختلفة بالإستناد على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لتتوسع بذلك مدارك المستهدفين بمواضيع تتعلق مباشرة بحياتهم اليومية وبحسب التطور الذي تشهده الحياة في جميع الإتجاهات التنموية.

إن الإسلام قد اهتم بالبيئة ورعى حمايتها منذ أكثر من ١٤٠٠ عام ولأن حماية البيئة من منظور إسلامي جدير بالتداول في خطب الجمعة والمواظ التي يقدمها الخطباء والأئمة بغرض الإرشاد والتوعية في مجالات البيئة المختلفة فإننا نبارك مثل هذا العمل الطيب الذي قامت به وزارة المياه والبيئة ومؤسسة فردريش إيبيرت الألمانية.

والله من وراء القصد ،،،

الأستاذ / حمود محمد عباد

وزير الأوقاف والإرشاد

صنعاء / يناير ٢٠٠٤م



كلمة مؤسسة فردريش ايبرت - مكتب اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

وبعد ،،

إن هذا الجهد المتواضع، والمتمثل في محتوى هذا الكتيب من شرح
لكيفية الحفاظ على البيئة وحمايتها من منظور إسلامي، وبأدلة من الآيات
القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ما هو لإنتاج للتعاون والتنسيق
بين وزارة المياه والبيئة ومؤسسة فرد ريش ايبرت الألمانية.
وقد اخرج بصورته النهائية بعد عقد عدة لقاءات واجتماعات وكذا
مراجعة المحتوى من قبل عدد من المختصين والجهات ذات العلاقة بوزارة
الأوقاف والإرشاد.

إن هذا الجهد ما هو إلا إسهام ومحاولة من وزارة المياه والبيئة
ومؤسسة فرد ريش ايبرت الألمانية لإدخال مواضيع البيئة في الخطب
والمحاضرات الدينية التي يقيمها أئمة وخطباء المساجد وليكون محتوى
هذا الكتيب عوناً لهم في إثراء الخطب والمواعظ، وتذكير العامة بجزء مهم
من حياتهم اليومية وما يفترض أن يتمسكوا به من سلوك تجاه بيئتهم
المحيطة، وما عليهم من التزام نحو الحفاظ على البيئة خاليه من التلوث في
المستقبل المنظور .

ويسرنا هنا أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسهم في إخراج هذا الكتيب
الإرشادي في كل من وزارة المياه والبيئة ووزارة الأوقاف والإرشاد ولكل من
أدلى برأيه أو قدم مراجع للاستفادة منها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

عن مؤسسة فردريش ايبرت- اليمن

أ/احمد علي اليمني

مدير المكتب - مسئول البرامج



البيئة الصالحة .. فريضة شرعية وضرورة حياتية

الأرض .. والإنسان :

اقتضت إرادة المولى - جل وعلا - أن يجعل الإنسان خليفة) في الأرض، فكانت هذه البقعة ، التي نطلق عليها اسم الكرة الأرضية ، هي (البيئة) المكانية التي اختارها الله تعالى - عز وجل - لتشهد الأحداث العظيمة للبشرية بدءاً من عهد (آدم) أبي البشر - عليه السلام - وحتى نهاية الحياة وقيام الساعة .. قال تعالى: (**وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ : إِنِّي جَاعِلٌ فِي**

الأرض خليفة) البقرة/ ٣٠

ومن (الأرض) أنبت الله (الإنسان) ، وإلى الأرض يعود (الإنسان) بعد مماته .. وبين الميلاد وبين الموت يعيش الإنسان على هذه الأرض : يمشي عليها ، ويتنفس هواءها ، ويشرب من مائها ، ويأكل من نباتها وحيوانها ، ويسكن في كهوفها أو في بيوت مصنوعة من صخرها وترابها .

إنها (الأرض) .. البيئة التي (بوأ) الله تعالى الإنسان ليعيش فيها ، فسخرها له وجعلها صالحة لحياته ، مودعاً فيها كل ما يجعل حياة الإنسان سهلة وميسورة .

قال تعالى: (... وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (●) وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار (●) واتاكم من كل ما سألتموه وإن

تعدوا نعمة الله لا تحسوها) إبراهيم ٣٢-٣٤

وليقوم الإنسان بمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض التي
منحه الله تعالى إياها.

قال تعالى على لسان النبي صالح عليه السلام: (يا قوم
اعبدوا ربكم مالكم من إله غيره ، هو أنشأكم من الأرض
واستعمركم فيها) هود / ٦١

وفي سبيل أن تكون الأرض (بيئة) ملائمة لحياة الإنسان
ومهمة الاستخلاف، كان من رحمة الله تعالى أن جعل كل شيء
خلقه في (الأرض) قائماً على العلم الإلهي بما يصلح البيئة
التي سيعيش عليها الإنسان ، فجعل كل شيء ذا قدر معلوم
ووزن معلوم ، ونسبة دقيقة : مثل حجم الأرض نفسها ، ومقدار
وشكل كرويتها ، وموقعها في السماء ، وبعدها عن النجوم
والكواكب ، ومقدار العناصر اللازمة للحياة كالهواء ، والماء ،
والترربة ... وأودع في الأرض كل شيء تحتاجه حياة الإنسان
بقدر محدد ، وموزون بالعلم الإلهي اللامحدود. (**إنا كل شيء
خلقناه بقدر) القمر / ٤٩ (وكل شيء عنده بمقدار) الرعد / ٨ ،**

(وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) الحجر / ١٩

ولم يقتصر التقدير الإلهي في إعداد البيئة الأرضية لتلائم
حياة الإنسان على الجماد بل أودع فيها - كذلك - مخلوقات
أخرى ضرورية لحياة الإنسان كالحيوان والنبات بفصائلهما
وأنواعهما .. وسواء أكانت على وجه الأرض ذاتها ، أو في
البحار والأنهار والبحيرات، أوفي السماء .. وسواء أكانت
منظورة مرئية أو غير مرئية كأنواع من المخلوقات دقيقة الحجم

أو كالميكروبات والفيروسات .. (ويخلق ما لا تعلمون).
ولأن المشيئة الإلهية منزهة عن العبت والفوضى فقد جاء خلق الأرض وما عليها من المخلوقات المادية والحية في غاية الحكمة والتقدير الدقيق ، ووفق ميزان العلم الإلهي المتسم بالحكمة والعلم والإرادة والرحمة.

والإنسان ذو موقع خاص في الأرض ، فهو ليس كغيره من المخلوقات، بل هو جزء متميز خلق الله له كل مافي الأرض، واستخلفه فيها أي جعله مديراً لها ومنفذاً لأوامر الله فيها، وهذه هي الأمانة التي قبل الإنسان أن يتحملها دون كل المخلوقات:

(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان ...) [الأحزاب : ٧٢].
وبالاستخلاف الإلهي ، وقبول الإنسان تحمل مسؤولية الأمانة الإلهية في الأرض ، صار الإنسان مسؤولاً عن الوفاء بهذه الأمانة سواء أكانت في مجال الالتزام بالمنهج الإلهي أو بالقيام بمهمة عمارة الأرض والمحافظة على مافيها من مكونات الحياة الصالحة اللازمة لاستقامة حياة الإنسان على أسس من الصلاح والخير والتعاون والتكامل مع سائر المخلوقات ومكونات الحياة الصالحة التي بثها الله تعالى في جميع أجزاء بيئة الأرض التي يعيش عليها الإنسان.

والإنسان والبيئة - بناء على كل ما سبق - هما جزآن مكملان لبعضهما فالبيئة بدون الإنسان لا تعني شيئاً لأنه هو المكلف بعمارتها وصيانتها وإدارتها... والإنسان بدون (بيئة)

لا يستطيع أن يؤدي مهمته؛ بل لا يستطيع حتى مجرد الحياة... فكل طرف يمنح الطرف الآخر معنى لوجوده مع الآخر. ولعل تقديم عدد من التعريفات لمعنى (البيئة) سوف يحدد بدقة الدور الهام التي تؤديه في مسار حياة الإنسان ، ومدى ارتباطها بمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض.

وللبينة تعريفات كثيرة منها :

١- (البيئة هي مجموعة الظروف والموارد والتفاعلات التي تجتمع في الحيز الذي توجد فيه الحياة ، أو الحيز الذي يعمره الإنسان).

٢- (البيئة هي كل ما يحيط بالإنسان .. أي الإطار الذي يمارس فيه الإنسان حياته وأنشطته المختلفة ، فهي تشكل الأرض التي يعيش عليها ، والهواء الذي يتنفسه، والماء الذي هو أصل كل شيء حي ، وكل ما يحيط بنا من موجودات سواء أكانت حية أو جماداً).

٣- (البيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ، ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء، أو كساء، أو دواء ، أو مأوى ، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر).

(انظر كتاب: المفاهيم والقيم الإسلامية اللازمة للتنشئة البيئية ،

للأستاذ الدكتور/ عبدالغني قاسم غالب ، دار البشير ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م)
وفي قانون (حماية البيئة) رقم ٢٦ لسنة ١٩٩٥م الذي أصدرته الجمهورية اليمنية، جاء تعريف (البيئة) على النحو الآتي : (البيئة هي المحيط الحيوي الذي تتجلى فيه مظاهر

الحياة بأشكالها المختلفة، ويتكون هذا المحيط من عنصرين :
- عنصر كوني : يضم الكائنات الحية من إنسان وحيوان
ونبات ، ومواد طبيعية من هواء وماء وتربة ومواد عضوية
وغير عضوية ، وكذلك الأنظمة الطبيعية .
- عنصر إنساني : يشمل كل ما أضافه الإنسان إلى البيئة
الطبيعية من منشآت ثابتة وغير ثابتة، وطرق وجسور ،
ومطارات ووسائل نقل ، وما استحدثته من صناعات ومبتكرات
وتقنيات .

وهكذا تكون العلاقة بين (الإنسان) و (البيئة) علاقة
مصيرية، يؤثر فيها كل طرف على الآخر ، وصالح أو فساد كل
طرف ينعكس على الآخر .
ومن البديهي أن فساد (البيئة) وتلوثها يعني فساد حياة
الإنسان ، وتعرضه للأمراض والأوبئة والشقاء والضعف ..
فكيف يمكن للإنسان أن يعيش في (بيئة) مملئة بالسموم ،
هواؤها ملوث ، وماؤها ملوث ، وتربثها ملوثة ، والعلاقة
الموزونة بين الكائنات مختلة !؟

وفي المقابل فإن فساد (الإنسان) يعني فساد (البيئة)
حوله، لأن الإنسان المفسد مخالف للسنة الإلهية التي قام عليها
الكون، وقامت عليها الحياة في الأرض ذاتها .
وللتأكيد على هذه الظاهرة يقول الله تعالى: (**ظهر الفساد**
في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي
عملوا لعلهم يرجعون) الروم / ٤١

فهذا نص إلهي واضح يقرر أن فساد الإنسان ينعكس على البيئة حوله التي يعيش عليها براً وبحراً ، وكذلك بالقياس نفهم من النص أن (صلاح) الإنسان ينعكس أيضاً على البيئة حوله، ويقرر الله تعالى في آية أخرى أن استقامة الإنسان على الحق والعدل تنعكس خيراً وبركة على البيئة حوله ، وتجعل الأرض بكل مكونات بيئتها تصل إلى مرتبة عالية من الخير والعطاء والنماء ، يقول الله تعالى : (وأو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً) الجن / ١٦

ويقول تعالى : (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ...) المائدة / ٦٦ وهذه العلاقة الجدلية (التفاعلية) بين الإنسان والبيئة جعلها الإسلام تقوم على أسس من التكامل ، والتوازن ، وتبادل المنافع ، والتوسط والاعتدال ، والعدالة ، والوقاية من المفسد قبل أن تقع ، ودفع المفسد حين تقع ، أو تقليلها بعد أن تقع ، والعمل على جلب المصالح والمنافع ، وتجنب الإضرار بالنفس أو بالآخرين على حد سواء ، والاستقامة على المنهج الإلهي ، وتعمير الأرض ، والمحافظة على النعم الكثيرة التي أنعم الله بها على الإنسان تيسيراً لحياته.

وقبل وبعد كل هذا ، فالإنسان هو المسؤول عن سلامة البيئة الأرضية التي يعيش فيها.

وقد رسم الإسلام منهجاً واضحاً مفصلاً لكيفية تعامل الإنسان مع مكونات البيئة حوله ابتداءً بالمياه وانتهاءً بالهواء ومروراً بكيفية التعامل مع الحيوان والنبات ، والمحافظة على

النظافة الشخصية والنظافة العامة .. وهو منهج شرعي وأخلاقي يهدف إلى حماية (البيئة) من منطلق أنها خلق من مخلوقات الله تعالى ، يحرم الإساءة إليها أو الإفساد فيها بأي صورة من الصور لأن في ذلك تعد على حكمة الله في خلق الإنسان وخلق الأرض وفق سنن تجعلها صالحة للحياة الآمنة المطمئنة.

ونظراً للدور الحيوي الذي يؤديه المسجد، والعلماء والخطباء، والمرشدون في حياة الإنسان اليمني المسلم، فإن من الواجبات التي ينبغي الاهتمام بها توجيه انتباه المواطنين إلى الواجب الشرعي تجاه حماية البيئة التي نعيش فيها من خلال الاستفادة من خطب الجمعة والعידين، والمحاضرات والدروس الدينية في بيان المنهج الإسلامي المتميز في التعامل مع مكونات البيئة، وإيراد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. واجتهادات العلماء التي ترسم للمسلم إطاراً فكرياً وسلوكياً في كيفية التعايش مع البيئة الأرضية في توازن، وتكامل ، ووعي لوظيفة كل عنصر من عناصر البيئة .

القواعد الإسلامية للحفاظ على البيئة:

١- تعمير الأرض وتنمية عناصرها ومظاهرها عن طريق الإسهام في تحسين الموارد الطبيعية وحمايتها والمحافظة عليها وعلى الكائنات الحية بجميع أنواعها وفصائلها .

٢- عدم تعطيل الموارد الطبيعية أو إتلاف أي شيء منها بدون وجه مشروع.

٣- عدم الإضرار بالبيئة الطبيعية وعدم إفسادها أو تلويثها أو تشويها بأي وجه من الوجوه.

٤- عدم التبذير أو الإسراف في استهلاك الموارد الطبيعية، كالمياه، والعمل على الحفاظ على التوازن بين التجدد السنوي في هذه الموارد والاستهلاك منها.

البيئة في اليمن أساس النهضة والتنمية

منح الله تعالى اليمن بيئة طبيعية غاية في الجمال ، والتنوع ، والثراء ... ومنذ بداية التاريخ الإنساني كانت اليمن مهداً من مهدات الإنسانية والحياة الأولى ، يؤهلها لذلك البيئة الغنية بالمياه والأمطار ، والغابات والأشجار ، والمناخ المداري الذي كان يعم منطقة الجزيرة العربية كلها ويجعلها مروجاً خضراء وجنات عن يمين وشمال، كما حكي القرآن الكريم عن ذلك:

(لقد كان لسبأ في مسكنهم آية : جنتان عن يمين وشمال،
كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) سبأ / ١٥
وما تزال البيئة اليمنية تحمل قدراً كبيراً من التنوع والجمال ، رغم المصاعب والمشاكل التي تراكمت على مر التاريخ، ولا سيما في العصور الأخيرة التي جاءت معها مشاكل خاصة بالبيئة لا تختلف كثيراً عما تعانيه البلدان الأخرى.
والحديث عن (البيئة) في اليمن لم يعد نوعاً من الترف الفكري ، ولا شيئاً من الاهتمام العقيم ، لأن الأزمة البيئية أصبحت واضحة من خلال أثارها الضارة في حياتنا اليومية مما يفرض على الجميع ضرورة التفكير الجدي والعمل المتواصل لإنقاذ اليمن من أزمة ومشاكل لا يمكن التغاضي عنها وإهمالها بحجة عدم أولويتها أو وجود مشاكل أهم منها!
ومشاكل البيئة في اليمن هي جزء من مشكلة التنمية ،

ولا يمكن إحداث تنمية حقيقية في بيئة تتعرض للتدمير والإفساد ... ولذلك فإنقاذ البيئة اليمنية هو أيضاً شكل من أشكال التنمية الضرورية للوطن والإنسان ، وللحاضر والمستقبل.

وهناك جملة من العوامل الطبيعية والبشرية التي تسببت في ظهور المشكلة البيئية في اليمن ... وأهم هذه الأسباب:

- ١) التغيرات المناخية التي شهدتها اليمن خلال العصور الأخيرة ، وأدت إلى شحة الأمطار وارتفاع درجة الحرارة.
 - ٢) زيادة الاستهلاك البشري للموارد الطبيعية ، من جهة بسبب تغير أنماط الاستهلاك بسبب التطور الإجتماعي الذي شهدته البلاد في العقود الأربعة الماضية ومن جهة أخرى بسبب النمو السكاني الكبير.
 - ٣) ضعف الاهتمام بالوسائل التقليدية لاستغلال المياه والحفاظ عليها وحجز السيول التي يترتب عليها اتساع المساحات الخضراء وتوافر المياه.
- وهذه الأسباب التي تزايدت حدتها مع مرور الزمن أدت إلى مشكلة بيئية أهم مظاهرها تتمثل في الآتي:

- ١- شحة الموارد المائية وإستنزافها وكذلك تلوثها نتيجة المخلفات البشرية والنفايات الصناعية.
- ٢- عدم نظافة البيئة وتلوث التربة والبيئة عموماً بالمخلفات البشرية والحيوانية.

- ٣- تلوث الهواء بالغازات السامة الناتجة عن استخدام أنواع من الوقود غير الآمن في المصانع ومحطات الكهرباء والمركبات والسيارات.
- ٤- تقلص مساحة الغطاء النباتي ، وزحف الكثبان الرملية وارتفاع ملوحة التربة.
- ٥- انجراف التربة في المرتفعات الجبلية.
- ٦- تصحر الأراضي الزراعية عن طريق زحف الرمال.
- ٧- تعرض كثير من أنواع الحيوانات للانقراض.

إن سلامة البيئة وصلاحها في اليمن يرتبط بسلامة الحاضر والمستقبل، إذ كيف نتخيل أن تكون هناك نهضة تنموية والبيئة اليمنية تعاني من بالفساد والتلوث أو تعاني من العشوائية في الاستخدام والاستنفاع؟ فسلامة البيئة تنعكس - أولاً - على صحة الإنسان اليمني نفسه وقدراته الجسدية والذهنية، كما أنها تعني سلامة الموارد الطبيعية التي تقوم على استغلالها استغلالاً سليماً كل العمليات التنموية التي تعني مزيداً من العطاء والرخاء والتقدم ، وبدون بيئة سليمة لا يمكن الحديث عن تنمية حقيقية إطلافاً.

ولا شك أن مواجهة أزمة البيئة في اليمن تصبح واجباً شرعياً ووطنياً في ضوء حقيقة أن تدهور حالة البيئة يعني الإضرار بالإنسان وبالتنمية ... وهو أمر يحتاج إلى تضافر الجهود الرسمية والشعبية ، وإيجاد وعي شعبي بضرورة

المحافظة على البيئة وسلامتها لأن في ذلك مرضاة للرب
تعالى ووفاء للوطن الذي ننتمي إليه ونحيا فوق أرضه.

الفصل الأول

الماء ... أصل الحياة

لا تنشأ الحياة إلا بالماء ... ولا تقوم الحضارات الإنسانية ولا تزدهر بدون الماء ... والماء هو أصل حياة الكائنات الحية ، ففي أجسام الأحياء الراقية كالإنسان يشكل الماء مانسبته ٦٠-٧٠٪ منها ، وفي الأحياء الدنيا تصل نسبته إلى ٩٠٪ ، وفي عموم الكرة الأرضية يشكل الماء ٨٠,٧٪ من سطحها ، وكل هذه الحقائق تلخصها الآية القرآنية الكريمة : (.. وجعلنا من الماء كل شيء حي ، أفلا يؤمنون) «سورة الأنبياء ٣٠».

وبالماء يحيي الله تعالى الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، والجماد : (.. وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ..) «البقرة: ١٦٤»

(.. وأنزلنا من السماء ماء طهوراً (●) لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً) [الفرقان: ٤٨ ، ٤٩] .

(.. وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء) [الأنعام: ٩٩] .

(وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) [النحل: ١٤] .

وهذه الحقائق تعني أن (الماء) هو الحياة ، وأن المحافظة عليه محافظة على الحياة الإنسانية ، وحياة الحيوان ، وحياة

النبات ، وبالتالي فكل ما يؤدي إلى ضياع الماء هو فساد يؤدي إلى إهلاك الحياة الإنسانية ... والحيوانية والنباتية، أي قتل الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، وهو أمر محرم تحريماً غليظاً في جميع الأديان: (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً..) (المائدة:٢٠) .

ولم يعد هناك خلاف في أن (اليمن) ، التي تخلو من الأنهار والبحيرات ، تعاني أزمة مياه حادة تهدد سلامة الحياة وصحة الإنسان ، وتندرج بوضع كارثي للإنسان والحيوان والنبات بسبب شح المياه الذي يؤدي إلى انتشار الأمراض والأوبئة... وتتمثل مشكلة المياه في اليمن في بعدين أساسيين هما:

١- شحة المياه:

يعد معدل نصيب الإنسان اليمني (الفرد الواحد) من المياه في السنة من أقل المعدلات في الوطن العربي والعالم، وتخلو اليمن من الأنهار والبحيرات العذبة، ولهذا يعتمد السكان في الحصول على حاجياتهم من المياه على الأمطار والمياه الجوفية التي تتعرض للاستنزاف الشديد بسبب زيادة السكان والإسراف الكبير في استخدام المياه .. وكل ذلك أنتج أزمة حادة بسبب نقص المياه ولا سيما المياه النظيفة الصالحة للاستخدام الآدمي ، نتيجة تناقص مخزون المياه الجوفية بسرعة مخيفة ، وعدم كفاية الأمطار لتعويض النقص .

ومن المؤكد أن الإسراف في استخدام المياه يؤدي إلى تعطيل المهمة السامية التي خلق الله تعالى الماء من أجلها وهي: حفظ الحياة وتهيئة البيئة الصالحة لحياة الكائنات الحية. وكل ذلك يدخل في إطار المحرمات الشرعية القطعية ، فالإسراف في استخدام المياه وإهدارها بطريقة غير سليمة محرم في القرآن الكريم وفي سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فالله عز وجل يقول (كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) [الأعراف: ٣١]. ويقول: (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) [الإسراء: ٢٧].

وفي القواعد الشرعية الإسلامية عدد من النصوص التي تقرّر عدم جواز إلحاق الضرر بالنفس وبالآخرين ، وضرورة دفع المفسد عن الناس ، مثل:

- (لا ضرر ولا ضرار).
- (ما أدى إلى الحرام فهو حرام).
- (دفع المفسد مقدم على جلب المصالح).

ومن الواضح أن تبديد المياه والإسراف في استخدامها هو مفسدة من المفسد الظاهرة التي لا يختلف بشأنها الناس، كما أنه ضرر بليغ يؤدي إلى تهديد حياة الإنسان والحيوان والنبات وهو أمر حرام بالإجماع.

وفي سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - الكثير من التوجيهات التي تنهى عن تبديد الماء والإسراف في استخدامه حتى ولو كان ذلك في مجال العبادة ، فقد روى الإمام ابن ماجه من حديث ابن عمر : (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

مر بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف يا سعد؟ قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: نعم.. وإن كنت على نهر جار).
وروى الإمامان: النسائي وأبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (كلوا ، واشربوا ، والبسوا ، وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة).

إن هناك الكثير من الممارسات غير السليمة التي تعكس ظاهرة الإسراف في استخدام المياه في حياتنا اليومية فمثلاً : فتح (الحنفيات) بشكل غير سليم عند استخدام الماء في المطاعم والمنازل لغسل الأواني أو الاغتسال أو تنظيف المنازل، وكذلك عند الوضوء في المساجد حيث يتدفق الماء بصورة مبالغ فيها تتناقض مع التوجيهات الإسلامية الداعية إلى عدم الإسراف في استخدام الماء ..

ومن الممارسات غير السليمة في استخدام المياه الحفر العشوائي للآبار واستخدام مياهها في ري بعض النباتات ذات المردود الاقتصادي المحدود مقارنة بكميات المياه المستخدمة مثلما يحدث في زراعة بعض أنواع الحشائش .. كما أن هناك أفراداً وجهات خاصة تقوم بحفر (آبار خاصة) تتزايد أعدادها مع مرور الزمن وتؤدي الى المزيد من استنزاف المياه، وتشكل نوعاً من الاستحواذ الأناني والاحتكار في استخدام الماء رغم أن التوجيه النبوي الشريف جعل الماء حقاً للجميع كما جاء في الحديث الشريف (الناس شركاء في ثلاث: الماء والنار والكلاء).

إن أزمة المياه المتمثلة في ندرتها أو قلتها تفرض على كل

إنسان أن يعي مسئوليته الدينية والإنسانية في الحفاظ على هذه (النعمة) ... ومن أهم وسائل تحقيق ذلك : الاعتدال في استخدام الماء ، وعدم تبديد موارده أو تلويثه ، والمحافظة على الموجود منه وتنميته باستخدام وسائل علمية كبناء السدود وتنظيم الري وفق أساليب وطرق علمية بعيداً عن الإسراف أو إغراق المزروعات بالمياه .. كما يمكن الاستفادة من المياه المستعملة مثل مياه الوضوء في المساجد في ري أشجار الزينة والأشجار الحراجية في حدائق المساجد أو في الطرقات والشوارع....إلخ .

وكل ذلك من الواجبات الشرعية طالما أن الإنسان - وكذلك الحيوان والنبات - لا يستطيع الاستغناء عن الماء الذي تقوم عليه حياته وتعتمد عليه منفعه ووفق القاعدة الشرعية: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

٢- تلوث المياه بالمخلفات والنفايات:

من مظاهر أزمة المياه في اليمن تلوث المياه المستخدمة في الحياة اليومية للإنسان نتيجة التلوث بالنفايات المنزلية ومياه المجاري وتلوث مياه البرك والآبار بفضلات الإنسان والحيوان.

والإسلام كما حرّم الإسراف والتبذير في استخدام المياه فقد حرمت مبادؤه- كذلك - إفساد المياه عن طريق تلويثها، وحضت على المحافظة عليها نقية طاهرة لاستخدام الإنسان والحيوان والنبات.

والماء الطاهر (النقي) هو إحدى النعم الإلهية التي أنزلها الله تعالى من السماء فأحيا به الأرض وليشرب منه الإنسان والحيوان والنبات:

(وأنزلنا من السماء ماء طهوراً (●) لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً) [الفرقان: ٤٨ . ٤٩].

ولنتذكر أن الماء الطاهر (النقي) هو المقبول استخدامه في الطهارة وأداء العبادات الإسلامية، وإذا فقد الماء طهارته - أو نقاءه - وتلوث أو اختلط بالقاذورات وفسد طعمه أو رائحته أو تغير لونه بفعل التلوث ، فحينها يصير الماء نجساً غير صالح للطهارة... ولا شك أن تلويث المياه وإزالة طهارتها عمل يتنافى مع المقاصد الشرعية الإسلامية ، وهو مفسدة واضحة وضرر فادح ... وكل ذلك يصطدم بالنصوص الشرعية الواضحة.

كما أن تلويث المياه بالقاذورات والمخلفات والمواد الكيماوية يخرب البيئة الصالحة للحياة ، ويؤدي إلى انتشار العديد من الأمراض والأوبئة القاتلة كالملاريا، والبلهارسيا ، والكوليرا، والتيفوئيد ، والأمراض المعوية ، والإسهالات، والالتهابات الرئوية والجلدية ، وكل هذه الآثار الضارة لتلوث المياه حرام بدون خلاف بين المسلمين ، لأن الروح الإنسانية لها حرمتها في الشريعة الإسلامية ، ولا يجوز إنزال الضرر بها أو حتى تعريضها للخطر ، بل لا يجوز حتى إخافتها، ومن باب أولى فلا يجوز شرعاً تلويث المياه وإفسادها بأي صورة من الصور لأن ذلك يعني قتل الحياة كلها .. ويندرج في ذلك

حفر (البيارات) دون مراعاة ما قد يحدث من تلوث للمياه الجوفية ولاسيما عدم تبطين جدران البيارات بالأسمنت منعاً لاختلاط مياهها بالمياه الجوفية خصوصاً عندما يكون مستوى المياه الجوفية التي تستخدم للاستهلاك الآدمي قريباً من سطح الأرض.

وقد شدد الرسول - صلى الله عليه وسلم - على أهمية المحافظة على طهارة المياه من التلوث بالمخلفات والقاذورات ، وهناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تنهى عن تلويث المياه ... فعن جابر - رضي الله عنه - (نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يبال في الماء الجاري) رواه الطبراني. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: اتقوا اللعانين .. قالوا: وما اللعانان يا رسول الله ؟ قال: (الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم). والتخلي هو قضاء الحاجة.

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد ، والظل ، وقارعة الطريق) (سنن ابن ماجه).

ومن الأحاديث النبوية الداعية إلى المحافظة على نظافة الماء مارواه الإمام مسلم في صحيحه: (غطوا الإناء وأوكوا السقاء...) لكيلا تختلط به الحشرات أو الأتربة أو الجراثيم أو تنتقل إليه الأمراض عبر الفئران والعقارب ... إلخ.

وكل هذه الوصايا والتوجيهات النبوية يراد منها الحفاظ على طهارة المياه وحماية الإنسان ، ودفعاً للفساد الذي يمكن

أن يحل بالبيئة التي يعيش فيها الإنسان وفقاً للقاعدة الشرعية
(دفع المفسد مقدم على جلب المصالح).

توصيات:

- ١- الاعتدال والاقتصاد في استعمال الماء من الواجبات والأخلاق الإسلامية الأصيلة.
- ٢- لا يجوز شرعاً تلويث المياه وإفساد طهارتها بإلقاء المخلفات أو النفايات البشرية أو الحيوانية فيها، أو حفر (البيارات) إلى مستوى المياه الجوفية.
- ٣- لا يجوز تلويث المياه في مصادرها كالأنهار، والآبار، والبحيرات.
- ٤- تلويث المياه فيه إيذاء للناس، وضرر بالفرد والمجتمع والبيئة، والإضرار بالآخرين وإيذاؤهم محرم شرعاً وعقلاً فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ٥- تشجيع إعادة استخدام بعض أنواع المياه المستخدمة - كمياه الوضوء في المساجد - في زراعة حدائق المساجد وري الأشجار المزروعة في الطرقات والشوارع.
- ٦- الاستفادة من المياه العادمة وإعادة استخدامها في الزراعة بعد معالجتها في وحدات المعالجة والتأكد من صلاحيتها لذلك.

الفصل الثاني

النظافة ... آية الإيمان

تعاني البيئة في (اليمن) من مشاكل عديدة ، لعل أبرزها ما يسود الشوارع والطرق من مظاهر غير صحية كانتشار المخلفات والقاذورات والحيوانات الضارة .. وكل ذلك يرسم صورة قبيحة للبيئة اليمنية تتناقض مع دعوة الإسلام للنظافة والطهارة وإشادته بالجمال (إن الله جميل يحب الجمال).
والنظافة في ميزان الإسلام مقرونة بالإيمان ، وهي أساس العبادات فلا تقبل كثير من العبادات إلا بطهارة الإنسان نفسه، وطهارة ملابسه ، وطهارة الأرض التي يؤدي عليها العبادة. وفي الحديث الذي رواه الإمام الطبراني أن الرسول صلى الله عليه وسلم، قال: (النظافة تدعو إلى الإيمان ، والإيمان مع صاحبه في الجنة)، كما روى كل من أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تنظفوا فإن الإسلام نظيف).

ولا تقتصر دعوة الإسلام إلى الالتزام بالنظافة على البشر فقط بل تمتد إلى البيئة حولهم ، فكل مافي الأرض تقع مسؤولية المحافظة على طهارته ونظافته على عاتق كل شخص ، فكما أنه مسؤول عن نظافة جسده فهو أيضاً مسؤول عن نظافة الشارع ، ونظافة المسجد ، ونظافة الهواء ، ونظافة مصادر المياه من كل ما يفسدها ويلوثها ، فلا يجوز رمي النفايات ولا

إلقاء القمامة من المنازل والسيارات والمارة في الطرقات التي يستخدمها الناس ، بل يجب وضعها في الأماكن المخصصة لذلك مثل صناديق القمامة أو تسليمها إلى سيارات جمع القمامة .. ولايجوز قضاء الحاجة أو حتى البصاق في الأماكن العامة التي يستخدمها الناس جميعاً ... كما لا يجوز تصريف المياه الملوثة ومخلفات المجاري إلى الشوارع ، أو ترك مخلفات البناء وإعاقة حركة الناس ، أو رمي أكياس البلاستيك والأوراق والمعلبات وكل ما من شأنه تلويث الطرق والشوارع أو التسبب في إيذاء الناس وخاصة الأطفال والمعاقون الذين لا يستطيعون ولا يعرفون كيف يتجنبون ذلك ... بل ويمتد الإيذاء إلى الحيوانات ذاتها التي تأكل النفايات والمخلفات فتصاب بأمراض تنتقل بعد ذلك إلى الإنسان.

وتمتد الآثار الضارة للمخلفات والنفايات إلى النبات ومصادر المياه مما يهدد بتفاقم الأمراض والأوبئة التي تنعكس ضرراً على الإنسان نفسه وعلى الحيوان فيعم الفساد كل شيء. ويتضرر المجتمع اليمني ضرراً شديداً نتيجة سوء أحوال البيئة ، وانتشار المخلفات والنفايات في مقابل ضعف القدرة على تنظيف البيئة بما فيها المدن والشوارع والساحات حيث يقدر حجم النفايات التي تم تجميعها عام ٢٠٠٠م بقراءة (٠٨٤, ٢٦٦, ١) طن ، فضلاً عن النفايات التي لا يتم تجميعها وهي بالتأكيد تشكل نسبة كبيرة! (التقرير الإستراتيجي السنوي - ٢٠٠١م) .

ولا شك أن عملية تجميع النفايات والتخلص منها تكلف اليمنيين مئات الملايين من الريالات التي كان يمكن الاستفادة

منها في مجالات التنمية الأخرى، كالصحة والتعليم وإعانة الفقراء ، لو قام كل يماني بدوره في المحافظة على نظافة البيئة التي يعيش فيها.

ولأهمية نظافة البيئة التي يعيش فيها الإنسان أشاد الإسلام بكل عمل يؤدي إلى المحافظة على طهارتها ونظافتها بل جعل ذلك من مظاهر الإيمان بالله تعالى. ففي الحديث النبوي الشريف الذي ورد في صحيح البخاري ومسلم ورواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها - أو أرفعها أو أفضلها - قول: لا إله إلا الله ، وأدناها : إمطة الأذى عن الطريق ...).

وهكذا فإذا كانت إمطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان فلا شك - إذن - أن إلقاء المخلفات في الطريق تعني وجود خلل ما في الإيمان ، وفي فهم واجبات المسلم التي تترتب على الإيمان بالله تعالى ، فإيذاء الآخرين نقص في كمال الإيمان بدليل قوله - صلى الله عليه وسلم : (والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ! قيل: من يا رسول الله ؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه) حديث متفق عليه، وفي رواية أخرى للحديث (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) رواه مسلم

وفي الحديث المتفق عليه أن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره). ولنتأمل هذه الأحاديث العظيمة المعنى: فإيذاء الجيران يعني الحرمان من الدخول إلى الجنة ، وإيذاء الجيران علامة

من علامات عدم كمال الإيمان، ومن علامات الإيمان بالله واليوم الآخر : عدم إيذاء الجار... والإيذاء - هنا - مقصود به كل شر، وكل نوع من أنواع الشرور والإيذاء ، مثل الإيذاء النفسي كالخصام والسباب ، والإيذاء المادي كالإلقاء المخلفات والقاذورات أمام بيوت الجيران أو في طريقهم ، والإيذاء المادي أخطر أنواع الإيذاء لأن آثاره تمتد في أكثر من اتجاه وتفسد كل شيء حول الناس ، ومما يعزز هذا المفهوم للإيذاء ما جاء في الأثر: (من أذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتي) . وفي مقابل هذا التحذير الغليظ في الشريعة الإسلامية من إفساد الطرقات بالمخلفات وكل أنواع الأذى ، فقد حرص الإسلام على تمجيد كل فعل يؤدي إلى تطهير الأرض والطرقات من المخلفات والقاذورات والأذى واعتبر ذلك من الأعمال الخيرية التي تفتح لصاحبها أبواب الجنة ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة) (رواه مسلم).

وفي صحيح الجامع عن أبي ذر الغفاري، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي بِأَعْمَالِهَا : حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَرَأَيْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا : إِمَاطَةَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَرَأَيْتُ فِي سَيِّئِ أَعْمَالِهَا : النَّخَامَةَ فِي الْمَسْجِدِ لَمْ تَدْفَنْ . «صحيح الجامع».

وليس هناك أبلغ من هذا الكلام النبوي العظيم في حث المسلمين على رعاية البيئة التي يعيشون فيها ، فالرسول - صلى

الله عليه وسلم - وهو يتحدث عن محاسن الأعمال يركز على شيء لا يتوقعه كثيرون في خطاب ديني ... فهو لا يتحدث عن الصلاة أو الصيام أو الحج ... بل يلفت الانتباه إلى أمر يعتبره الجميع أمراً دنيوياً لا علاقة له بالدين ، ولذلك حرص الرسول - صلى الله عليه وسلم - على تنبيه المسلمين إليه لأهميته في حياة الإنسان.. وهو ما يعد امتيازاً للدين الإسلامي ورؤيته للعلاقة بين الإنسان وبين البيئة الأرضية وكيفية المحافظة على سلامة البيئة ومعالجة مظاهر التلوث المختلفة التي تضر بالإنسان وبالبيئة معا.

وفي السياق نفسه ، فإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - علم المسلمين أن (الطريق) - أي البيئة المادية التي يتحركون فيها- له حقوق مثله تماماً كالإنسان والكائنات الحية الأخرى .. وأن استخدام الطرقات له آداب ينبغي الالتزام بها أو يصير الاستخدام محرماً شرعاً ومنافياً لرضا الرب تبارك وتعالى. واشترط الرسول- صلى الله عليه وسلم - على من أراد استخدام الطرقات أو الجلوس فيها عدداً من الشروط كان منها: (كف الأذى) بمعناه الشامل ، فكل ممارسة وفعل يؤذي الناس في الطرقات حرام : كرمي المخلفات والقاذورات ، وسد الشوارع بمخلفات البناء ، وعدم وضع القمامة في الأماكن المخصصة لها ، وقلع الأشجار والنباتات.. فقد روى أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : (إياكم والجلوس في الطرقات! قالوا: يارسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: فإذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه ،

فقالوا: وما حق الطريق يارسول الله؟ قال: غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) حديث متفق عليه .

وقد فهم المسلمون هذه التوجيهات النبوية العظيمة، وأبدعوا في تجسيدها في مجتمعاتهم وواقعهم اليومي، فكتب الفقه والأداب والأخلاق لاتكاد تخلو من إقرار العلماء والفقهاء بضرورة المحافظة على نظافة الشوارع والطرق وتطهيرها من المفاسد التي تؤذي الآخرين وتفسد نظافتها، وتحت عنوان (منكرات الشوارع) قرر الإمام الشيخ/ أحمد بن قدامة المقدسي في كتابه: (منهاج القاصدين ، ص ١٣٢)، أن من هذه المنكرات مايلي:

(طرح الكناسة - أي القمامة - على جواد الطريق، وتبديد قشور البطيخ أو رش الماء بحيث يخشى منه الزلق ، والماء الذي يجتمع من ميزاب معين...).

وفي المجتمعات الإسلامية - قديما - كان هناك وعي شعبي عميق بأهمية الحفاظ على نظافة الطرق من المخلفات وكل ما يؤذي الناس... وعلى سبيل المثال كان هناك نوع من أنواع الأوقاف يطلق عليه: (وقف لرفع الحجارة من الطريق) أي كان هناك أناس ينفقون أموالهم لتنظيف الطريق من كل مظاهر الإيذاء ، ويخصصون أموالاً دائمة للإنفاق على عملية التنظيف وإزالة الأحجار منها. (انظر كتاب: الظهور الإسلامي : فجر دائم وشروق مستمر ، ص٢٤٦، تأليف الأستاذ/ عبدالملك الشيباني).

التوصيات:

- ١- نظافة البيئة مسؤولية كل إنسان.
- ٢- المحافظة على نظافة البيئة خلق إسلامي أصيل.
- ٣- تلويث البيئة بالمخلفات والقاذورات إيذاء للإنسان يتعارض مع مقتضيات الإيمان بالله وباليوم الآخر..
- ٤- من آداب النظافة : وضع المخلفات في أماكن تجميعها وعدم رميها في الشوارع والطرق .
- ٥- التخفيف من استخدام أكياس البلاستيك ، وإعادة استخدام الصالح منها.. والاتجاه إلى التوسع في استخدام الأكياس القطنية.

الفصل الثالث

الشجرة والخضرة ... علامة الحياة

يرتبط النعيم الإلهي والجنات السماوية باللون الأخضر والأراضي الخضراء المكسوة بالأشجار والنباتات هي أبرز تعبير عن جمال الطبيعة ، ومصدر الجمال الذي ينعش الأرواح، ويوفر بيئة صالحة للحياة خالية من السموم والأمراض.

والغطاء النباتي هو جزء أصيل من بيئة الأرض التي يعيش عليها الإنسان... وبدون هذا الغطاء النباتي فإن الحياة في الأرض تتحول إلى صحراء جرداء يستحيل بقاء الحياة فيها.

وفي الزمان القديم ، كانت اليمن تتمتع ببيئة طبيعية غاية في الجمال وصفها القرآن الكريم بقوله : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور) «سورة سبأ ١٥».

وتميزت اليمن بأنها الأرض الخضراء في جزيرة العرب حتى أطلق عليها المؤرخون لقب (العربية السعيدة) ، وكانت المدرجات الجبلية الخضراء إحدى مظاهر الثراء النباتي الطبيعي في اليمن.

وخلال العقود الأخيرة بدأت الأراضي الخضراء والغطاء النباتي يتعرض لتغيرات سلبية كثيرة أدى إلى ظهور أزمة أو

مشكلة الأراضي الخضراء ، والمقصود بذلك تآكل الغطاء النباتي وتقلص مساحات الأراضي الخضراء نتيجة عدد من الأسباب:
١- الرعي الجائر الذي يقضي على الغطاء النباتي والمساحات الخضراء .

٢- قلة الأمطار واستنزاف المياه الجوفية.

٣- الزحف العمراني على الأراضي الزراعية بسبب تزايد عدد السكان.

٤- إهمال تخصيص مساحات مناسبة في المدن للحدائق، وعدم التوسع في زراعة الأشجار على جوانب الطرقات.

٥- قطع الأشجار بكميات هائلة وإفناء الغابات والأحراش. ولا شك أن تدهور حالة الغطاء النباتي وتقلص مساحات الأراضي الخضراء يؤدي إلى فساد البيئة التي يعيش عليها الإنسان، ويجعل الحياة صعبة قاسية غير ملائمة للإنسان .. فبالإضافة إلى أن الأراضي الزراعية والمساحات الخضراء هي مصدر رئيس وهام للأمن الغذائي لمجموع الناس والحيوان والكائنات الحية الأخرى ، فذلك يؤدي الغطاء النباتي أدواراً هامة في الحياة ، فقد جعله الله تعالى ليس فقط وسيلة لإحداث التوازن البيئي وتنقية الهواء من خلال قيام النبات بامتصاص غاز ثاني أكسيد الكربون الناتج عن العمليات الحيوية للكائنات الحية أو العمليات الصناعية الأخرى ، بل أيضاً أداة لتوليد الأكسجين النقي الضروري للحياة في أثناء عملية البناء النسيجي للنبات.

وكل ذلك يجعل من الواجب أن تشجع الدول - سواء عن

طريق الحكومة المركزية أو السلطات المحلية - غرس الأشجار وتوسيع المساحات الخضراء في المدن والشوارع والطرق ، وأن تضع خططاً جادة وعملية للاهتمام بها وللمحافظة عليها، كما ينبغي أن تعمل الدول على وضع ضوابط قانونية خاصة بمنع إتلاف الأشجار أو قطعها لاستخدامها في حاجات الإنسان الخاصة بينما يمكن استبدال ذلك بمصادر طاقة أخرى مثل الغاز الطبيعي أو الطاقة المتجددة والنظيفة كالطاقة الشمسية، وطاقة الرياح.

وبناء على الأهمية القصوى التي يمثلها الغطاء النباتي في بيئة الأرض فقد أولى الإسلام اهتماماً خاصاً للمحافظة على النبات والأشجار وحث المسلمين على زراعتها والعناية بها ، واعتبر ذلك نوعاً من أنواع العبادات التي تهدي إلى الجنة ... فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها). وفي رواية أخرى للحديث رواه الإمام أحمد في مسنده أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها).

ومن هذا الحديث يتضح الحرص الشديد على الاهتمام بالزراعة وتوسيع المساحات الخضراء ... فالأمر النبوي بغرس الأشجار في يوم القيامة يعني أن الأمر يكون واجب وأدعى لتنفيذه قبل يوم القيامة.

والتوجيهات الإسلامية متعددة في الترغيب في عمارة

الأرض بالنبات والأشجار ، وجعل ذلك نوعاً من العبادة والتقرب إلى الرب تبارك وتعالى ونيل مرضاته... وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة).

وفي صحيح الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سُرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة).

وابتكر المسلمون صيغة من صيغ الملكية الخاصة للتشجيع على الزراعة وإحياء الأرض الموات بتملكها للذين يزرعونها ، فقد روت السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (من أعمار أرضاً ليست لأحد فهو أحق) أي أنه أحق بها وبامتلاكها. « مختصر صحيح البخاري».

وروى يحيى بن آدم القرشي - كما جاء في كتاب الخراج أن الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال لرجل أحيا أرضاً ميتة وزرعها : (كل هنيئاً وأنت مصلح غير مفسد ومعمّر غير مخرب).

كما توصل المسلمون إلى صيغة مبتكرة لحماية الأراضي الزراعية المخصصة للرعي العام فجعلوها أراض محمية لا يجوز لأحد احتكار استخدامها أو تغيير طبيعتها.

وفي المقابل حرم الإسلام العبث بالنبات والأشجار وإفسادها ، سواءً كان ذلك بقطعها وإتلافها ، أو بتلويتها بالمخلفات والقاذورات، وقد جاء في الأثر أنه (من قطع سدره - شجرة النبق- في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً صوب الله رأسه في النار).

كما نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن قضاء الحاجة في ظل الأشجار للحديث الوارد سابقاً : (اتقوا الملاعن الثلاثة : البراز في الموارد ، والظل ، وقارعة الطريق).

التوصيات:

- ١- تشجيع غرس الأشجار والنباتات في كل مكان يصلح لذلك.
- ٢- تشجيع المواطنين على إحياء الأراضي غير المزروعة وتمليكها لهم.
- ٣- إنشاء حدائق ملحقة بالمساجد والاهتمام بها بقدر الإمكان وسقيها من مياه الوضوء.
- ٤- عدم قطع الأشجار لاستخدامها في الطهي واستخدام بدائل الطاقة الأخرى كالغاز أو الطاقة المتجددة كالطاقة الشمسية وطاقة الرياح بدلاً منها.
- ٥- تشجيع المواطنين على زراعة أراضي الأوقاف.
- ٦- حجز أماكن للمساحات الخضراء ضمن المخططات السكانية لتكون بمثابة رئات لإنتاج الهواء النقي.
- ٧- إصدار ضوابط قانونية تمنع إتلاف الأشجار أو قطعها.

الفصل الرابع

والحيوان حقوق في منهج الإسلام

الحيوانات من المخلوقات التي تقوم عليها الحياة في الأرض، وهي على تنوعها وتعددتها وانتشارها في كل بقعة من الأرض تمثل ركناً أساسياً في البيئة التي يعيش فيها الناس، وأحد مرتكزات صور التوازن والتكامل التي جعل الله الحياة لا تقوم إلا عليها.

وعالم الحيوان يؤدي المهمة التي خلقه الله لها، فهو مصدر من المصادر الرئيسية للغذاء، وهو وسيلة من وسائل الحركة والانتقال، وهو مخلوق ارتبطت مصائره بالإنسان، وارتبطت حياة الإنسان به... ولذلك فأي إفساد في حياة الحيوان وعالم الحيوان أو ممارسة في غير الهدف الذي خلق الحيوان له تؤدي إلى إفساد في حياة الإنسان وعالم الإنسان - أي البيئة - التي يعيش فيها، وأي إفساد فيها يفسد الحياة كلها فتختل فيها الموازين وينتشر الخلل، وتتضرر حياة الإنسان نفسه.

والحيوان في ميزان الإسلام الحنيف ليس مجرد (شئ) بل هو كيان له مكانته في الحياة بل كل نوع من أنواع الحيوان والطيور له كيانه ومكانته وحقوقه:

(وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم،

ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) [الأنعام: ٣٨].

وعندما ركب النبي نوح - عليه السلام - في سفينة النجاة من الطوفان العظيم ، أخذ معه أزواجاً من الحيوانات والطيور والنباتات لحمايتها من الهلاك ، والاحتفاظ بها لمرحلة جديدة من الحياة على الأرض ، وظلت السفينة بما فيها في حفظ الله ورعايته ، وعندما هبطت واستقرت وخرج منها الذين كانوا فيها غمرهم الله تعالى كلهم بالسلام والبركة لافرق بين إنسان أو حيوان أو طائر أو نبات:

(قيل يا نوح اهبط بسلام منا ، وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) [هود: ٤٨].

وعلى الرغم من هذه المكانة لعالم الحيوان .. وعلى الرغم من الدور الحيوي له؛ إلا أن عالم الحيوان يعاني من الاختلال وعدم التوازن، وكثير من فصائل الحيوان والطيور والأسماك معرضة للانقراض والفناء بسبب الصيد الجائر والعشوائي بحثاً عن منافع تجارية أو جريباً وراء متعة زائفة ليس لها علاقة بالهدف الأسمى الذي من أجله خلق الله تعالى كل أنواع الدواب .

وتظهر أزمة انقراض عدد من الأنواع النادرة وغير النادرة من الحيوانات في اليمن بصورة جلية ، فهناك أنواع كالغزلان والنعام والضباع والنمر العربي وبعض فصائل القرود والسلاحف الخضراء مهددة بالانقراض ، كما يؤدي الاصطياد العشوائي في البحار إلى استنزاف الثروة السمكية من قبل سفن الصيد الضخمة التي تحتاج إلى رقابة كفؤة.

والعلاقة بين الإنسان و الحيوان في ميزان الإسلام لا

تقوم على الهمجية، والإيذاء ، والقسوة ، والانتفاع العشوائي، فالمسلم يعلم منذ البدء أنه خليفة الله في الأرض لإدارتها بالعدل والرحمة ، ويعلم أن (الحيوان) هو جزء أصيل من الحياة على الأرض لا يجوز التعامل معه إلا بموازين الرحمة وفي إطار الأهداف التي خلق الله من أجلها الحياة والإنسان ، وخلق من أجلها الحيوان.

ولقد رسم الإسلام إطاراً للتعامل مع الحيوان يتميز باحترام هذه المخلوقات وحفظ حقوقها ، وحمايتها من العبث والإيذاء والإفناء .. وقد تحددت هذه الحقوق في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة ، وفي أحكام الفقهاء ، وفي فهم المسلمين وتعاملهم مع الحيوان ... حتى تشكلت صورة راقية من الرحمة بين الطرفين.

وفي القرآن الكريم وصف الله تعالى الحيوانات بأنها أمم مثل أمة الإنسان.. وفي ذلك تكريم لها، بل وأخبر المسلمين أن هذه الحيوانات مخلوقات تعبد الله تعالى وتسبح باسمه كما أن الإنسان يعبد الله تعالى ويسبح باسمه : (ألم تر أن الله يسبح له ما في السموات والأرض والطير صافات ، كل قد علم صلاته وتسبيحه)[النور:٤١] .

وفي السنة النبوية الشريفة ، كفل الرسول - صلى الله عليه وسلم - الكثير من الحقوق للحيوانات ، وحض على التعامل معها برفق ورحمة .. وجعل ذلك مقياساً لإيمان الإنسان وأخلاقه ، وترتبت على تلك التوجيهات آداب التعامل مع الحيوان على النحو الآتي:

١- الرحمة بها والإشفاق عليها:

حث الإسلام على التعامل الرحيم مع الحيوان، ودعا إلى الإشفاق عليه من التعذيب والتجويع وحرمانه من أسباب الحياة، وقد حدثت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه عن رجل وجد كلباً يلهث من العطش فنزل بئراً فملاً خفه ماء فسقى الكلب حتى روى .. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (فشكر الله له فغفر له ، فقال الصحابة : إن لنا في البهائم لأجرأ يارسول الله ؟ قال: في كل كبد رطبة أجر) «رواه البخاري».

وفي الحديث الشهير الذي رواه ابن عمر رضي الله عنه، أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: (دخلت امرأة النار في هرة حبستها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) «رواه البخاري».

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمرة - طائر صغير كالعصفور- معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحُمرة تعرش ، فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها (رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وتقررت الرحمة بالحيوان عند العلماء المسلمين فجعلوها ضمن كتب الفقه، وشددوا على أهمية الالتزام بأداب الإسلام في التعامل مع الحيوان ، وخصصوا لذلك أبواباً لتنبية المسلمين وتعليمهم حقوق الحيوان وآداب التعامل معه كما

يعلمونهم حقوق الله تعالى وحقوق الإنسان.
وهذا الإمام الشيخ عز الدين بن عبد السلام يخصص في كتابه الشهير (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) باباً أسماه (حقوق البهائم والحيوان على الإنسان) ومما جاء فيه من الحقوق:

(أن ينفق عليها نفقة مثلها ولو زمنت أو مرضت بحيث لا ينتفع بها ، وأن لا يحملها مالا تطيق ، ولا يجمع بينها وبين مايؤذيها من جنسها - أو من غير جنسها - بكسر أو نطح أو جرح ، وأن يحسن ذبحها إذا ذبحها ، ولا يمزق جلدها ولا يكسر عظامها حتى تبرد وتزول حياتها ، وأن لا يذبح أولادها بمرأى منها ، وأن يفرداها - أي يخصص لها مكانا - ويحسن مباركتها وأعطانها ، وأن يجمع بين ذكورها وإناثها في أبان إتيانها ، وأن لا يخذف صيدها ولا يرميه بما يكسر عظمه أو يرديه بما لا يحل لحمه).

وفي كتاب (منهاج المسلم) للشيخ أبوبكر الجزائري باب خاص بالحيوان اسمه (باب الأدب مع الحيوان) قرر فيه أن المسلم يرى في أغلب الحيوانات خلقاً محترماً يجب احترامها ورحمتها برحمة الله تعالى لها ، وضمان حقوقها كإطعامها وسقيها إذا جاعت وعطشت ، ورحمتها والإشفاق عليها من الإيذاء.

وفي كتاب (فقه السنة) للشيخ سيد سابق باب خاص بعنوان: (نفقة الحيوان) جاء فيه:

يجب على الشخص أن ينفق على بهائمه وحيوانه ، ويقدم لها ما يقيم حياتها من طعام وشراب ، فإن لم يفعل أجبره الحاكم على النفقة عليها أو على بيعها أو على ذبحها .. فإن لم يفعل تصرف الحاكم بما هو أصلح) ص ٦٥٤ الجزء الثالث.

وفي تاريخ المجتمعات الإسلامية تجسدت التوجيهات النبوية بالرحمة بالحيوان في صور عديدة ولا سيما في مجال الأوقاف ، ففي مدينة دمشق - على سبيل المثال - كان هناك وقف خاص بالحيوان الهرم - العجوز - كي يرعى في الأرض الموقوفة حتى يموت (كتاب الظهور الإسلامي: فجر دائم وشروق مستمر ص ٢٤٧).

وفي مدينة صنعاء القديمة ما يزال هناك سوق اسمه: (سوق العرج) كان وقفاً على الحمير العرجاء غير الصالحة للعمل تأوي إليه لتجد الطعام والشراب من الأموال الموقوفة عليها. وفي مدينة القاهرة كان هناك مسجد تأوي إليه الهررة في ساعات معينة لتتناول طعامها وفق شرط ووصية الواقفين - الذين خصصوا الأموال لإطعام الهررة (المصدر سابق ، ص ٢٤٨).

وفي مناطق عديدة كان هناك وقف خاص بالكلاب الضالة تستخدم عائداته لإطعام الكلاب التي ليس لها صاحب إنقاذاً لها من عذاب الجوع حتى تستريح بالموت أو يقتنيها أحد من الناس (كتاب الإيمان والحياة ، د. يوسف القرضاوي).

٢- النهي عن تعذيب الحيوان وإيذائه وتحمله ما لا يطيق:

كما نهى الإسلام عن إيذاء الحيوانات وتعذيبها تحقيراً لها أو استهانة بها.. فقد روى أبو داود أنه مر على الرسول - صلى الله عليه وسلم - بحمار قد وسم في وجهه فقال (أما بلغكم أنني

لعنت من وسم البهيمة في وجهها أو ضربها في وجهها).
وفي صحيح مسلم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم -
نهى عن وسم وجه الحيوان بعد أن رأى حماراً موسوم الوجه
- أي مكويًا في وجهه - فأنكر ذلك وقال: (والله لا أسمه إلا في
أقصى شيء من الوجه - أي طرف الأذن).

وفي حديث رواه البزار بسند صحيح عن ابن عباس -
رضى الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم: (نهى عن
إخصاء البهائم نهياً شديداً).

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه
- أنه قال: (نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقتل
شيء من الدواب صبراً) أي نهى عن إمساك الحيوان الحي
وتقييده لاستخدامه في الرماية حتى يموت.

وعن ابن عباس - رضى الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه
وسلم - قال: (لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً) أي هدفاً
يصوب إليه » فقه السنة الجزء ٣ ص ٣٠٩.

كما نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن صيد
الحيوان باستخدام الحجارة وما يماثلها لأن ذلك يعذب : تكسر
العظم وتفقأ العين « فقه السنة ، الجزء ٣، ص ٣١٢ ».

وروى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم مر بقرية نمل
وقد أحرقت فقال: (إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار).
وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضى
الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - (قال أو أخبر
أن نملة قرصت نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت

فأوحى الله إليه: أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم
(تسبح) .

ويرتقى التعامل الإسلامي إلى مستوى النهي عن لعن
الحيوانات والتشديد في ذلك ، وخصص العلماء وأصحاب
الحديث باباً في كتبهم تحت عنوان: النهي عن لعن الدواب ،
وفيه حديث مروى عن عمران بن الحصين وعن أبي برزة نضلة
بن عبید الأسلمي - رضي الله عنهم - استنتج منه العلماء
عدم جواز لعن الحيوانات والتحذير منه، فعن عمران بن
الحصين - رضي الله عنهما - قال: بينما رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - في بعض أسفاره وإمرأة من الأنصار على
ناقة فضجرت فلعننتها ، فسمع ذلك رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - فقال : (خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة)
رواه الإمام مسلم.

وروى ابن الحكم في سيرة الخليفة عمر بن عبدالعزيز
(أنه نهى عن ركض الفرس إلا لحاجة ، وأنه كتب إلى صاحب
السكك : أن لا يحملوا أحداً بلجام ثقيل ، ولا ينخس بمقرعة
في أسفلها حديدة ، وكتب إلى واليه بمصر: أنه بلغني أن
بمصر إبلاً نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل ، فإذا أتاك
كتابي هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة
رطل). « انظر كتاب: الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوي »

وفي كتاب (المغني) الشهير قال الإمام موفق الدين عبد الله
بن قدامة: وقد ثبت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
نهى عن قتل النحلة ، ونهى أن يقتل شيء من الدواب صبراً

لأنه إفساد يدخل في عموم قوله تعالى : (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد)

٣- منع العبث بالحيوانات واستخدامها في غير ما خلقت من أجله:
ومن مظاهر تكريم الإسلام للحيوان النهي عن العبث بحياته لغير منفعة الأكل ، والنهي عن استخدامه استخداماً غير رحيم بغرض اللهو واللعب، فقد روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن التحريش بين البهائم) .. والتحريش هنا يقصد به: إغراء بعضها ببعض لتتطاحن وتتصارع إلى حد الموت أو مقاربته ! ويدخل ضمن ذلك : مصارعة الثيران ، ومصارعة الديوك .. وأنواع أخرى من الحيوانات في بلاد مختلفة.

ونهى الإسلام عن صيد الحيوانات وإزهاق أرواحها بطريقة جائرة لا يكون هدفها الانتفاع بلحمه ، ففي الحديث الذي رواه النسائي وابن حبان في صحيحه أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال: (من قتل عصفوراً عبثاً عجز إلى الله يوم القيامة يقول: يارب إن فلانا قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة).
وفي حديث آخر صحيح الإسناد رواه النسائي والحاكم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عنها يوم القيامة! قيل: يارسول الله .. وما حقها ؟ قال: أن يذبحها فيأكلها ، ولا

يقطع رأسها فيرمي به).

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً) أي هدفاً يصبو إليه.

ومر الرسول - صلى الله عليه وسلم - على طائر قد اتخذته بعض الناس هدفاً يصبون إليه ضرباتهم فقال: (لعن الله من فعل هذا).

وفي حديث آخر (نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم عن قتل الحيوان إلا للمأكلة).

وعن سعيد بن جبير - رحمه الله تعالى - قال: كنت عند ابن عمر فمروا بفتية أو بنفر نصبوا دجاجة يرمونها ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها ، فقال ابن عمر: من فعل هذا ؟ إن النبي - صلى الله عليه وسلم - لعن من فعل هذا .

وأوصى الخليفة أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - قائد جيشه أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قائلاً (أيها الناس: قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها .. ومنها: ولا تعقروا نخيلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للمأكلة).

التوصيات:

- ١- المحافظة على الثروة الحيوانية وعدم إهدارها ولا سيما الأنواع النادرة منها .
- ٢- تخصيص محميات طبيعية للحيوانات والطيور النادرة .
- ٣- تربية المجتمع على المفاهيم الإسلامية التي تدعو إلى الرفق بالحيوانات وعدم إيذائها بأي صورة من الصور .
- ٤- الاهتمام بالحيوانات الأليفة التي تعيش مع الإنسان أو تعمل في خدمته، ومنحها حقوقها في المأكل والمشرب والعلاج والرعاية.

الفصل الخامس

الهواء .. النعمة الخفية

يحيط الهواء بالأرض التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الحية الأخرى، ولولا وجود هذا العنصر الحيوي الضروري للحياة لما أمكن أن تكون هناك حياة ! وهو أهم عنصر للحياة ولا يستطيع الإنسان أن يستغني عنه أكثر من دقائق قليلة خلافاً للطعام أو حتى الماء.

والهواء الذي يحوط الأرض في غاية النقاء والرهافة وخالصا من الشوائب.. أو هكذا خلقه الله تعالى قبل أن تمتد إليه عوامل الفساد، وقبل أن تصعد إليه من الأرض الغازات الفاسدة والأدخنة القاتلة التي تنفثها المصانع والمعامل ، والسيارات والآلات التي تحرق ملايين الأطنان من المواد الكيماوية فتتصاعد منها السموم المميتة التي لوثته، وأفسدت وظيفته في حفظ الحياة وإمداد المخلوقات بما تحتاجه من هواء نقي نظيف، كما أدت إلى بروز ظاهرة الاحتباس الحراري، ومشكلة ثقب الأوزون التي تهدد حياة الإنسان والبيئة التي يعيش فيها.. وهذه الظاهرة بالغة الخطورة وقد تداعت معظم أمم الأرض إلى دراستها وإصدار التشريعات الدولية لتدارك الأخطار الناتجة عنها والتخفيف منها.

ولأهمية الدور الذي يقوم به الهواء في حفظ الحياة ، فقد أوجدت الحكمة الإلهية وسائل طبيعية لتنقية الهواء من

الغازات الطبيعية الضارة .. وأهم هذه الوسائل هي النباتات التي تقوم في النهار بامتصاص غاز ثاني أكسيد الكربون واستخدامه في بناء نفسها من خلال عملية البناء الضوئي وتطلق بدلاً منه (الأكسجين) الذي تحتاجه الكائنات الحية الأخرى، ولذلك يعد النبات المنظم الأمثل لغاز ثاني أكسيد الكربون في الهواء ، ووجود النباتات والأشجار يؤدي دوراً مهماً في تنقية الهواء اللازم لحفظ الحياة.

واليمن - كغيرها من بلاد الدنيا - توجد فيها مصادر عديدة لتلويث الهواء وإفساد وظيفته في حفظ الحياة. وتتمثل مشكلة تلوث الهواء في اليمن في مظهرين اثنين هما:

أولاً: تلويث الهواء بالغازات السامة التي تطلقها المصانع والآلات والمركبات والمحركات التي تستخدم أنواعاً من الوقود وخاصة البنزين الحاوي لمادة الرصاص حيث يؤدي ذلك إلى زيادة نسبة الغازات والمواد السامة في الهواء مما ينعكس سلباً على صحة الإنسان وعلى النبات والحيوان ، بل ويؤثر على التربة التي تنزل عليها الأمطار الملوثة بالغازات السامة المنتشرة في الهواء، حيث تستهلك المركبات والسيارات في شوارع وطرق اليمن قرابة ١٢ ألف مليون لتر سنوياً من الوقود الذي يتحول إلى غازات تلوث الهواء في البيئة اليمنية بعشرات الآلاف من الأطنان من الغازات القاتلة السامة على النحو الآتي:

- ٦٥ ألف طن من أكسيد النتروجين .

- ٣٣٦ ألف طن من أول أكسيد الكربون .
 - ٦ آلاف طن من غاز الكبريت .
 - ١٣ ألف طن من الجزيئات العالقة في الهواء نتيجة احتراق الوقود .
 - ٤٧ ألف طن من غازات الهيدروكربونات .
- (التقرير الإستراتيجي السنوي .. اليمن ٢٠٠١م)

ولعل هذه الأرقام - التي تتزايد عاماً بعد عام - تعطي صورة واضحة ومرعبة عن الخطر الذي يتهدد البيئة اليمنية بسبب استخدام أنواع من الوقود كالديزل والبنزين المحتوي على الرصاص ، وبسبب وجود أعداد كبيرة من المركبات والسيارات ذوات المحركات القديمة التي تنفث - أيضاً - غازات سامة تضر الإنسان ومكونات البيئة الطبيعية حوله.. وهو ما يجعل استخدام أنواع من الوقود الآمن أمراً واجباً شرعاً وعقلاً. فتلوث الهواء بهذه الصورة يعني أخطاراً وفساداً لحياة الإنسان والحيوان والنبات ، وهو أمر محرم شرعاً ، ويتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية التي تعمل على حفظ الحياة ودفع المفسد أو تقليلها .

ثانياً: انحسار المساحات الخضراء بسبب القطع العشوائي للأشجار ، والرعي الجائر ، وإهمال الزراعة ، واتساع رقعة التصحر ، والتوسع العمراني على حساب الأراضي الزراعية، وكل ذلك يعني أن الوسيلة التي خلقها الله تعالى لتنقية الهواء تتعرض للإضرار والإفساد مما يحول دون تحول الغازات السامة الموجودة

في الهواء إلى أكسجين نقي يحتاجه الإنسان والحيوان. ومن الوسائل المنتشرة التي تسهم في تلويث الهواء تدخين التبغ لما له من آثار سلبية سيئة على البيئة بل يعد أحد المصادر الأساسية للتلوث البيئي. فمن احتراق التبغ تنتج عدة غازات وأبخرة ضارة مثل: أول أكسيد الكربون ، وثاني أكسيد الكربون ، والميثان ، وغيرها ، وكلها تؤدي إلى انتشار أمراض القلب والرئتين والسرطان بكافة أشكالها... وهي ضارة للإنسان ، والحيوان ، والنبات ، وللحواء الذي نستنشقه كلنا وقد أثبت باحثون أن التلوث الناتج عن تدخين ٢٠ سيجارة يعادل التلوث الناتج الذي يطلقه عادم سيارة تسير بسرعة ٦٠ كم في الساعة على أرض مستوية لمسافة ٦٠ كم.

(كتاب المخدرات وآثارها السيئة من الناحية العملية أ.د/ شاكر عبد الحميد). وهكذا فإن الهواء في اليمن يتعرض لعملية إفساد متصلة بسبب تدخين عشرات الملايين من السجائر يوميا ، بالإضافة إلى استخدام (التبغ) بوسائل أخرى مثل : (المداعة والشيشة). وفي طرق اليمن وشوارعها تتحرك الآلاف من السيارات ذات المحركات القديمة التي تعد مصدراً لأخطر أنواع التلوث البيئي وهو تلويث الهواء بالغازات السامة، ولهذا تعمل الدولة على تبني مشاريع إنتاج البنزين الخالي من الرصاص ، وتشجيع استخدام الغاز بإعتباره الأكثر سلامة ونظافة.

ولا شك أن كل هذه الوسائل التي تعمل دون توقف على تلويث الهواء تؤدي إلى إفساد الحياة وإلحاق الضرر بالإنسان والحيوان والنبات وهو أمر محرم بالإجماع في شريعة الإسلام

ف (لا ضرر ولا ضرار) ، وكل شيء يؤدي إلى مفسدة منهي عنه واستخدام هذه الوسائل فيه ضرر مباشر وإيذاء واضح على الإنسان ، وهو أمر محرم لأن إيذاء الإنسان محرم بأي وسيلة (وما يؤدي إلى الحرام فهو حرام).

وقد نهى القرآن الكريم عن إيذاء الإنسان برفع الصوت والضجيج فضلاً عن إيذائه بالغازات السامة وتلويث الهواء الذي يعيش عليه.

ومن وصايا الإسلام : (منع الأذى عن الجيران) ، وبناء على ذلك أفتى الشيخ ابن القاسم - المتوفي في ١٩١هـ - بأحقية الجيران في منع بناء (حمام) وفرن وطاحون بجوارهم بسبب الضرر البليغ الذي يصيبهم من ذلك ! وروى مؤلف كتاب (الإعلان بأحكام البنیان) أن رجلاً يملك فرناً أراد أن يضيف فرناً آخر فاعترض الجيران لأنه ضرر جديد فأمر القاضي ابن القطن بإغلاق الفرن الجديد.

وفي كتابه (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) يذكر الإمام الشيرازي أن (المحتسب) كان يهتم بأن ترفع أسقف حوانيت الخبازين ، وأن تفتح أبوابها ، ويجعل في سقوف الأفران مخارج واسعة يخرج منها الدخان لئلا يتضرر بذلك السكان ، كما كان يمنع الصباغين من وضع أفرانهم في الشوارع.

(كتاب : البيئة : مشاكلها وقضاياها ، وحمايتها من التلوث ، رؤية إسلامية، المهندس / محمد عبدالقادر الفقي).

التوصيات:

- ١- الاهتمام بعمليات التشجير وتخصيص المساحات الخضراء في المدن والطرق الطويلة.
- ٢- حماية الغابات والأحراش والمراعي من عمليات القطع العشوائية والرعي الجائر، وحماية الأراضي الزراعية من عمليات البناء والتوسع العمراني.
- ٣- تشجيع استخدام بدائل للوقود المستخدم في السيارات والمركبات ومحطات إنتاج الكهرباء والمصانع، واستبدال ذلك بأنواع من الوقود تكون أقل ضرراً كالغاز الطبيعي، وكذلك استخدام الطاقة الشمسية المأمونة في إنتاج الكهرباء في المنازل والمساجد للتخفيف من الحاجة إلى الكهرباء المنتجة بواسطة الديزل.
- ٤- قيام الدولة بإنتاج البنزين الخالي من الرصاص وتشجيع استخدام الغاز الطبيعي.
- ٥- تفعيل الرقابة من قبل الأجهزة المعنية على السيارات ذات المحركات القديمة وحث مالكيها على صيانتها بصورة دائمة.
- ٦- تشجيع القائمين على المساجد في المناطق الريفية على استخدام الطاقة البديلة الآمنة - كالطاقة الشمسية وغيرها - في إنارة المساجد وفي الإحتياجات الأخرى.

قائمة بالكتب والمصادر التي يمكن الرجوع إليها لمزيد من الإطلاع على الرؤية الإسلامية تجاه البيئة ومشاكلها

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- تفسير (في ظلال القرآن) للأستاذ / سيد قطب
- ٣- مختصر صحيح البخاري.
- ٤- مختصر صحيح مسلم.
- ٥- سنن ابن ماجه.
- ٦- سنن أبو داود
- ٧- سنن النسائي.
- ٨- مسند الإمام أحمد
- ٩- منهاج القاصدين، الشيخ الإمام / احمد بن قدامه المقدسي.
- ١٠- الظهور الإسلامي : فجر دائم وشروق مستمر، الأستاذ/ عبد الملك الشيباني
- ١١- منهاج المسلم/ الشيخ أبو بكر الجزائري.
- ١٢- فقه السنة : الشيخ / سيد سابق.
- ١٣- الإيمان والحياة: د.يوسف القرضاوي.
- ١٤- كتب الفقه الإسلامي.
- ١٥- البيئة: مشاكلها وقضاياها ، وحمايتها من التلوث : رؤية إسلامية ، المهندس/
محمد عبد القادر الفقي.
- ١٦- القرآن الكريم وتلوث البيئة، المهندس/ محمد عبد القادر الفقي.
- ١٧- البيئة من منظور إسلامي، د. علي علي السكري.
- ١٨- المفاهيم والقيم الإسلامية اللازمة للتنشئة البيئية، د. عبد الغني قاسم.
- ١٩- حماية البيئة في الإسلام.
- ٢٠- السكان والبيئة: الواقع والتطلعات (من أوراق المؤتمر الوطني للسياسة
السكانية).
- ٢١- التقرير السنوي اليمني (٢٠٠١ ، ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٣)

الماء في اليمن أصل الحياة

التوصيات

١- الاعتدال والاقتصاد في استعمال الماء من الواجبات والأخلاق الإسلامية الأصيلة.

٢- لا يجوز شرعاً تلويث المياه وإفساد طهارتها بإلقاء المخلفات أو النفايات البشرية أو الحيوانية فيها، أو حفر (البيارات) إلى مستوى المياه الجوفية.

٣- لا يجوز تلويث المياه في مصادرها كالأنهار، والآبار، والبحيرات.

٤- تلويث المياه فيه إيذاء للناس، وضرر بالفرد والمجتمع والبيئة، والإضرار بالآخرين وإيذاؤهم محرم شرعاً وعقلاً «فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥- تشجيع إعادة استخدام بعض أنواع المياه المستخدمة - كمياه الوضوء في المساجد - في زراعة حدائق المساجد وري الأشجار المزروعة في الطرقات والشوارع.

٦- الاستفادة من المياه العادمة وإعادة استخدامها في الزراعة بعد معالجتها في وحدات المعالجة والتأكد من صلاحيتها لذلك.

النظافة ... علامة الإيمان

التوصيات

- ١- نظافة البيئة مسؤولية كل إنسان.
- ٢- المحافظة على نظافة البيئة خلق إسلامي أصيل.
- ٣- تلويث البيئة بالمخلفات والقاذورات إيذاء للإنسان يتعارض مع مقتضيات الإيمان بالله وباليوم الآخر..
- ٤- من آداب النظافة : وضع المخلفات في أماكن تجميعها وعدم رميها في الشوارع والطرقات .
- ٥- التخفيف من استخدام أكياس البلاستيك ، وإعادة استخدام الصالح منها.. والاتجاه إلى التوسع في استخدام الأكياس القطنية.

الشجرة والخضرة ... آية الحياة

التوصيات

- ١- تشجيع غرس الأشجار والنباتات في كل مكان يصلح لذلك.
- ٢- تشجيع المواطنين على إحياء الأراضي غير المزروعة وتمليكها لهم.
- ٣- إنشاء حدائق ملحقة بالمساجد والاهتمام بها بقدر الإمكان وسقيها من مياه الوضوء.
- ٤- عدم قطع الأشجار لاستخدامها في الطهي واستخدام بدائل الطاقة الأخرى كالغاز أو الطاقة المتجددة كالطاقة الشمسية وطاقة الرياح بدلاً منها.
- ٥- تشجيع المواطنين على زراعة أراضي الأوقاف.
- ٦- حجز أماكن للمساحات الخضراء ضمن المخططات السكانية لتكون بمثابة رئات لإنتاج الهواء النقي.
- ٧- إصدار ضوابط قانونية تمنع إتلاف الأشجار أو قطعها.

وللحيوان حقوق في منهج الإسلام

التوصيات

- ١- المحافظة على الثروة الحيوانية وعدم إهدارها ولا سيما الأنواع النادرة منها .
- ٢- تخصيص محميات طبيعية للحيوانات والطيور النادرة .
- ٣- تربية المجتمع على المفاهيم الإسلامية التي تدعو إلى الرفق بالحيوانات وعدم إيذائها بأي صورة من الصور .
- ٤- الاهتمام بالحيوانات الأليفة التي تعيش مع الإنسان أو تعمل في خدمته، ومنحها حقوقها في المأكل والمشرب والعلاج والرعاية.

الهواء .. النعمة الخفية

التوصيات

- ١- الاهتمام بعمليات التشجير وتخصيص المساحات الخضراء في المدن والطرق الطويلة.
- ٢- حماية الغابات والأحراش والمراعي من عمليات القطع العشوائية والرعي الجائر، وحماية الأراضي الزراعية من عمليات البناء والتوسع العمراني.
- ٣- منع استخدام أنواع الوقود الضار كالديزل ، في السيارات والمركبات ومحطات إنتاج الكهرباء والمصانع، واستبدال ذلك بأنواع من الوقود تكون أقل ضرراً كالغاز الطبيعي، وكذلك استخدام الطاقة الشمسية المأمونة في إنتاج الكهرباء في المنازل والمساجد للتخفيف من الحاجة إلى الكهرباء المنتجة بواسطة الديزل.
- ٤- قيام الدولة بإنتاج البنزين الخالي من الرصاص.